

## مرتكزات التعلم الفعّال

الحسن بواجلابن

قدمتُ دراسةً لتجاوز الوضعية المزرية للمستوى الدراسي في مؤسسات التعليم، وأثّرتُ إشكالية مفادها: ما عساها أن تكون معالم المنهجية التي يمكن الاستعانة بها من أجل اكتساب فعّال للغة العربية؟ فكانت الإجابة مجموعة من الأسس شكّلت تصورا منهجيا لتحسين تحصيل المتعلمين تعلمات الدرس اللغوي، واكتسابهم للغة العربية بالابتدائي والثانوي الإعدادي. فكانت مرتكزات تلك المنهجية، هي: المعينات الديدكتيكية الفعّالة، والتفاعلية كمنهجية لتعلم اللغة، وبيداغوجيا الانغماس، واسترداد دور الذاكرة في التحصيل. وأقدم هذا التصور المنهجي ليستفيد منه السادة الأساتذة نظرا لما راكم من استحسان لدى الفئة التي استهدفها هذا التصور، وهي أفواج الطلبة الأساتذة بمركز مراكش منذ السنة التكوينية: (2005 / 2006) إلى السنة التكوينية الماضية. فقد فضّلت تلك الأفواج استعمال مرتكزات هذا التصور المنهجي سواء في خلال الدروس التي قدموها في الوضعيات المهنية المتعددة، أم في أسابيع تحمل المسؤولية.

”يكتسب التلاميذ مهارة النطق السليم عن طريق قراءة الشعر وإنتاجه، أو بإعداد حوارات ومسرحيات تقتضي قراءة الأدوار عدة مرات.“  
يقتضي اكتساب التلاميذ اللغة شرط ممارستهم مجموعة من الأنشطة ترتبط بالحياة وبالمعيش اليومي، من تحدث إلى مجموعة القسم، وتقديم تعليقات على ظاهرة، ومحاكاة لبرنامج تلفزي، وتقمص للأدوار“

درس لغوي ومتطلباته، كما يلزم أن يكون اختيار تلك الوسائل دقيقا ومناسبا؛ بحيث تُعتمد الصورة مُعينا ديدكتيكا لتشخيص مفاهيم النحو، وإلا تحولت الصورة إلى عائق ديدكتيكي. يُمكن أن تُعتمد مُعينات ديدكتيكية أخرى مثل الحكي، والحوار، وتخيّل حدث أو وضعيات، ... وباب الاجتهاد مفتوح على مصراعيه في هذا المضمار. ولتوضيح سير مُعين الصورة عبر مقاطع الدرس، قدمت الخطوات الآتية:

**- قبل الدرس:** يدعو الأستاذ المتعلمين إلى تأمل صورة تتضمن أطفالا أو يافعين في وضعيات محددة: كإسناد بعضهم ظهورهم إلى جدار، وهو ما يشخص مفهوم الإضافة؛ لأن المعنى اللغوي للإضافة لا يتعارض مع معناها الاصطلاحي<sup>1</sup>، إضافة الظهر إلى الجدار إسناد له عليه، أو يدعوهم إلى تأمل عناصر الطبيعة في الصورة، أو غير ذلك.

**- في خلال إنجاز الدرس:** يُرسخ الأستاذ المفهوم المجرد موضوع التعلم لدى المتعلمين بواسطة صور تُخضع ذلك المفهوم المجرد للإدراك الحسي، ثم يستبطنون القواعد.

**- بعد إنجاز الدرس:** يطالب الأستاذ التلاميذ عند اختتام الدرس بتركيب جمل في ضوء فهمهم الحسي للمفهوم المجرد، ليكتسبوا القدرة على تطبيق تعلماتهم على مجال محيطهم.

## الدراسة:

### تقديم :

نظرا لتراجع حصيلة التدريس، وتردي المستوى الدراسي، حاولتُ تقليب النظر في أسباب ذلك التراجع، وفكرتُ مليّا في الطرائق التي يتم بها تقديم الدرس اللغوي، وإكساب المتعلمين اللغة العربية بالسلك الابتدائي والثانوي الإعدادي. فقدمتُ تصورا منهجيا لديدكتيك اللغة العربية إلى الطلبة الأساتذة بمرکز مراكش منذ سنة 2006، وقيمتُ بتتبّعه. وطبّقه أغلبهم سواء في الوضعيات المهنية المتعددة، أم في أسابيع تحمل المسؤولية، مع تفاوتات بينهم من حيث عدد مرتكزات التصور التي اختاروها. ونظرا للإيجابيات التي اكتنّزها هذا التصور للعملية التعليمية، قررتُ طرحه للتعريف به من جهة، ولتعميم فوائده البيداغوجية والديدكتيكية على السادة الأساتذة من جهة ثانية.

**صوغ الإشكالية:** ما هي معالم المنهجية التي يمكن الاستعانة بها من أجل اكتساب فعّال للغة العربية؟

كانت مرتكزات تلك المنهجية، هي: المُعينات الديدكتيكية الفعّالة، والتفاعلية كمنهجية لتعلم اللغة، وبيداغوجيا الانغماس، وأسّرتداد دور الذاكرة في التحصيل.

### 1- المُعينات الديدكتيكية الفعّالة:

من أجل تعلم فعّال، يلزم تنويع الوسائل والمُعينات الديدكتيكية تبعا لحاجيات كل

لقد لقيت الصورة بما هي مُعين ديدكتيكي استحسانا لدى الطلبة الأساتذة، ولاحظوا وظائفها ومهامها. وكنتُ أعزّز كل مرة استحسانهم توظيف الصورة في دروس اللغة بأفكار وتعليقات من قبيل: «كلما استعملتم الصورة في دروس مكونات اللغة العربية خصوصا اللغوية منها، كلما ابتعدتم عن الأمية الإيقونية»، أو «يتأكد لديكم الفهم الجيد لتلاميذكم دروس اللغة بعد توظيف الصورة»، أو «اكتساب التلاميذ اللغة العربية رهين بالتوظيف الجيد والمناسب للصورة». وشجعتني اتخاذهم الصورة وسيلة ديدكتيكية، فعرضتُ عليهم عدة صور تشخّص مجموعة دروس لغوية، وتسهل استيعابها. وأقدم نموذج المُعين الديدكتيكي لدرس النعت، وهو عبارة عن صورة تتضمن جبالا عالية، وثلوجا بيضاء، ومروجا خضراء، ومياها متدفقة. ويحاول المتعلمون التعبير عن مكونات سحر الطبيعة الواردة في الصورة، فيفهمون أن العلوّ صفة للجبال، وأن البياض صفة للثلوج، .. ثم يدركون أن النعت وسيلة من وسائل الوصف.

**2-التفاعلية كمنهجية لتعلم اللغة العربية:** يقتضي التعلم الفعّال توظيف منهجية التفاعلية في أثناء بناء التعلّمات. ولقد اهتمت الدراسات الديدكتيكية الأنجلوساكسونية بالتعلم التفاعلي داخل الفصول الدراسية. من ذلك كتاب:

(teaching Language Interactive) ل: River .m. Wilga «؛ حيث قالت:

«يتكلم التلاميذ، ويستمعون، ويعبرون عن صور وأشياء من خلال لعب الأدوار، كما أنهم يقومون بمحاكاة برامج حوارية، أو تجسيد استجابات أو التعليق على نشرات الأخبار.

يندمج التلاميذ في أنشطة، ويساعد بعضهم بعضا.

يكتسب التلاميذ مهارة النطق السليم عن طريق قراءة الشعر وإنتاجه، أو بإعداد حوارات ومسرحيات تقتضي قراءة الأدوار عدة مرات<sup>2</sup>. يقتضي اكتساب التلاميذ اللغة شرط ممارستهم مجموعة من الأنشطة ترتبط بالحياة وبالمعيش اليومي، من تحدث إلى مجموعة القسم، وتقديم تعليقات على ظاهرة، ومحاكاة لبرنامج تلفزيوني، وتقمص للأدوار... وهنا أود أن أشير إلى المسرح المدرسي وأدواره الطلائعية في إكساب المتعلمين اللغة. وما أشد حاجة تلاميذنا إلى هذه الأنشطة وغيرها لاكتساب اللغة العربية. فالتعلم الفعّال يحتاج إلى تلك الأنشطة؛ فأداء المتعلمين، على سبيل المثال، أدوارا مسرحية بالفصول الدراسية، يحرر كيفية تلقيهم الدروس من الرتابة، ويثير في أنفسهم ملكة الإبداع، ويكسبهم مبادئ اللغة العربية من نطق سليم، وتركيب صحيح، ومعنى مفيد.

**خاتمة:**

إن هذا التصور للتعلم الفعّال كفيّل بتطوير مختلف الكفايات المدرسية، والمهارات اللغوية التي يحتاج إليها المتعلمون من بنيات: معجمية، ونحوية، وصرفية، ونصية، مما سيرفع من فرص تعلم اللغة العربية، واكتسابها. وإذ أعرض هذا التصور المنهجي لمقتضيات التعلم الفعّال؛ فلأنه لقي استحسانا من قِبَلِ المعنيين به، وهم الطلبة الأساتذة الذين كانوا يفكرون في إبداع الدروس عند إعدادها، دونما اقتناء حريّة لما يرد في الكتاب المدرسي، فيُنجزون خطوات الدروس بما هي مطلب أساس، لكن وُقِّدَ إخراج يجعل الأستاذ مبدعا، يخطط للتعلمات، ويشرك التلاميذ في بنائها، ويحفّزهم، ويُقوِّمهم، ليُقوِّموا إنتاجاتهم بأنفسهم بعد ذلك.

**المراجع:**

- لسان العرب. ابن منظور. دار صادر. بيروت. الطبعة 6. 1997.

Wilga.m. River : Interactive Language teaching. Cambridge University Press. U.S.A. - Published 1987.

2 -Wilga .M .Rivers : Interactive Language Teaching , p.10 :

**3-بيداغوجيا الانغماس: «Pédagogie d'immersion»**

« d'immersion » يحتاج التعلم الفعّال أيضا إلى هذه البيداغوجيا. ويعتمدها الأستاذ في خلال بناء التعلمات، فيحرص على إشراك التلاميذ في ذلك. ويجب أن توفر المؤسسة للمتعلمين مستلزمات النشاط التعليمي المراد ليكتسبوا اللغة؛ مثل الكتب، والمعاجم، والدواوين الشعرية، ومسرحيات،.. وبموازاة ذلك تُنجز مهمات ذلك النشاط أمامهم، ثم يدرّبهم الأستاذ على كيفية إنجازه بحدق.

**4-استرداد دور الذاكرة في التحصيل:**

آن الأوان لاسترجاع دور الذاكرة في التحصيل الدراسي، وردّ الاعتبار لها تبعا للشروط التعليمية الآنية؛ حيث يستلزم التعلم الفعّال استحضار دور الذاكرة في بناء التعلمات، مع التفعيل لمهام الحفظ بما يخدم التعلمات؛ كأن يختار الأستاذ لتلاميذه شعرا إن هم حفظوه، اكتسبوا تعابير جيدة، وصيغا للكلام العربي مُحْكَمَة، وأساليب رصينة، فيُكسبهم الحفظ اختزان رصيد من أساليب التخاطب العربي، فتنشأ لديهم القدرة على تركيب جمل مفيدة، وصيغ مقبولة تركيبيا ودلاليا. وتقويم كل ذلك هو الاستظهار، أو أنشطة تدفعهم إلى استثمار ما حفظوه.

**الهوامش**

1 -قال ابن منظور: «المضاف كل ما أُمِيلَ إلى شيء وأُسند إليه، فقد أُضيف»، لسان العرب: (مادة ضَيْفَ).